# الفصل السابع
# صور واقعية لنظام الإعلام الإسلامي

ويتضمن المباحث التالية:

**المبحث الأول : وسائل الاتصال في مكة ( عهد الرسول ﷺ )**

**المبحث الثاني : وسائل الاتصال في المدينة ( عهد الرسول ﷺ )**

**المبحث الثالث : وسائل الاتصال في الدولة الأموية**

**المبحث الرابع : وسائل الاتصال في الدولة العباسية**

* * *

obeikandl.com

## المبحث الأول
## وسائل الاتصال في مكة ( عهد الرسول ﷺ )

يتناول هذا المبحث: أنواع الاتصال، ووسائله التي كانت مستخدمة في مكة؛ كالاتصال الشخصي والجمعي المتمثل في ملاقاة الوفود في المواسم، وغيرها من وسائل الاتصال التي كانت مستخدمة في العهد المكي.

**أولاً: الاتصال الشخصي :**

الاتصال الشخصي كما هو معروف يعد من أقوى أنواع الاتصال تأثيرًا؛ لأسباب عديدة، منها: أنّ الإنسان في هذا الاتصال يتكلم مباشرة إلى الشخص الذي يريد مخاطبته مما يجعل الشخص المخاطب يثق في الذي يتكلم إليه، وهذا الاتصال يتم على أساس معرفة سابقة، ويستطيع المرسل أن يعدل في رسالته حسب الانطباع الذي تتركه الرسالة على المستمع.

يؤكد هذا المعنى الدكتور إبراهيم إمام؛ حيث يرى أن الاتصال الشخصي يتم بين الجماعات الصغيرة التي يعرف فيها الناس بعضهم بعضًا، فيتناقشون ويتحدثون ويتبادلون الرأي والمشورة ويدركون انطباعات أحاديثهم على بعضهم البعض(1).

والمتتبع لأنماط الاتصال المستخدمة يجد أن رسول الله ﷺ قد جمع كل مميزات الاتصال الشخصي، ورتب الأولويات في الاتصال: وكان من الطبيعي أن يعرض الإسلام على ألصق الناس به، وآل بيته وأصدقائه فدعاهم إلى الإسلام، ودعا إليه كل من توسم فيه خيرًا ممن عرفهم ويعرفونه فأرشدهم إلى حب الخير والحق، وتحري الصدق والصلاح، فأجابوه ولم تخالجهم ريبة قط في عظمة الرسول ﷺ ونبل مقصده وصدق خبره، وكان في مقدمة هؤلاء

(1) إبراهيم إمام ، الإعلام والاتصال بالجماهير ، الطبعة الثالثة ( القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1984م ) ص28 .

زوجة النبي ﷺ أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، ومولاه زيد بن حارثة، وابن عمه علي بن أبي طالب -وكان صبيًّا في كفالة الرسول ﷺ وصديقه أبو بكر الصديق، أسلم هؤلاء في أول عهد الدعوة المباركة(1).

وقد استخدم رسول الله ﷺ كل فنيات الاتصال الشخصي المؤثر المتمثل في لقائه مع زعيم قريش (عتبة بن ربيعة) وحواره الطويل معه:

روى ابن إسحاق في سيرته عن محمد بن كعب القرظي، قال: حدثني أن عتبة بن ربيعة قال يومًا وهو جالس في نادي قريش ورسول الله جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه، وأعرض عليه أمورًا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ قالوا: بلى يا أبا الوليد، قم إليه فكلمه. فقام عتبة، حتى جلس إلى الرسول ﷺ فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السّلطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها، فقال رسول الله ﷺ: (قل يا أبا الوليد، أسمع). قال عتبة: يا ابن أخي، إن كنت تريد بما جئتنا به من هذا الأمر مالًا جمعنا لك أموالنا حتى تكون أكثر مالًا، وإن كنت تريد شرفًا سودناك حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا، وإن كان الذي يأتيك رئيًا لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه. فلما فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يسمع منه قال رسول الله: (أقد فرغت يا أبا الوليد) ؟ قال: نعم. قال: فاسمع مني. قال عتبة: أفعل. فقرأ رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤﴾ [فُصِّلَت] إلى قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٨﴾ [فُصِّلَت] ومضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله إلى السجدة،

(1) صفي الدين المباركفوري، الرحيق المختوم، الطبعة الأولى (جدة: مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر، 1980م) ص85.

فسجد ثم قال رسول الله: (قد سمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك).

ثم رجع عتبة إلى أصحابه من ملأ الوثنية والشرك، فلما رأوه قال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم، قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولًا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، خلو بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك يا أبا الوليد بلسانه، قال عتبة: هذا الرأي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم[1].

**ونورد مثالًا آخر للاتصال الشخصي،** وهو ما كان بين رسول الله ﷺ وسويد بن الصامت إذ قدم مكة، وعلم رسول الله ﷺ بمقدمه إلى الله عز وجل وإلى الإسلام، فقال له سويد: لعل الذي معك مثل الذي معي! فقال رسول الله ﷺ: (ما الذي معك)؟ فقال سويد: مجلة لقمان – يعني حكمة لقمان – فقال رسول الله ﷺ بعد أن سمع من سويد ما عرضه عليه من حكمة لقمان: (إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل منه؛ قرآن أنزله الله -عز وجل- عليّ، هو هدى ونور)، وقرأ عليه القرآن، ودعاه إلى الإسلام، فأحسن سويد الرد، ولم يبعد عن رسول الله ﷺ وقال: هذا قول حسن، ثم انصرف سويد عائدًا إلى قومه في يثرب، فقدم على قومه وفي نفسه ما فيها من تأثير بما سمع من القرآن الكريم ومن سَمْتِ رسول الله وسمو أدبه ومكارم أخلاقه ومحاسن دعوته، وجلال الرسالة التي جاء بها[2].

هذان نموذجان للذين اتصل عليهم رسول الله ﷺ اتصالًا شخصيًّا، ولا شك أن اتصال رسول الله ﷺ قد ترك أثرًا عظيمًا فيهما، وكان لكلٍّ منهما تأثر بما سمع من رسول الله، بل إن عتبة بن ربيعة تبنى الدعوة وذهب يحاول إقناع قومه من الكفرة والمشركين، فما كان منهم إلا أن قالوا: سحرك بلسانه[3].

وقد كان الرسول ﷺ دائم الاتصال بأصحاب العقول في ذلك الزمان، وكان يتخير منهم

---

(1) محمد الصادق عرجون، محمد رسول الله ﷺ، الطبعة الأولى (بيروت: دار القلم، 1985م) ج2، ص 186-187.

(2) المرجع نفسه، ص374.

(3) المرجع نفسه.

أصحاب الرجاحة والفهم، وهم الذين يطلق عليهم في الإعلام الحديث (قادة الرأي). ولقد اتصل بعدد من الرجال، وحصل منهم على ردودِ فعل إيجابية، كانت في صالح الدعوة، بل آمن بعضهم بسبب هذا الاتصال الشخصي المباشر **نذكر من هؤلاء:**

1- سويد بن الصامت من أهل يثرب.

2- إلياس بن معاذ.

3- أبو ذر الغفاري، وقد أسلم وأسلمت معه غفار.

4- الطفيل بن عمرو الدوسي، الذي أسلم ونقل ذلك إلى قبيلته فأسلمت .

5- ضماد الأزدي(1) .

**ثانيًا: الاتصال الجمعي:**

استخدم رسول الله ﷺ الاتصال الجمعي في لقائه بأصحابه في دار الأرقم بن أبي الأرقم وفي لقاء الوفود واتصاله على عدد من القبائل على النحو الذي نورده فيما يلي:

**أولًا: لقائه بأصحابه في دار الأرقم:**

لقد اتخذ رسول الله ﷺ من دار الأرقم بمكة مركزًا للدعوة إلى الإسلام، وذلك في طور الدعوة السري، وكانت تسمى دار الإسلام يلتقي فيها بالمسلمين الأوائل، وقد التف حوله هذا النفر يسمعون منه القرآن، ويتعلمون مبادئ الإسلام، ثم ما لبثت هذه الدار أن أصبحت محط أنظار المسلمين ومعهدهم(2).

**ثانيًا : لقاء العقبة الأولى :**

وهو من أشهر لقاءات رسول الله ﷺ باليثربيين الخزرجيين، فبينما كان رسول الله ﷺ عند العقبة الأولى، عقبة الجمرة، يدعو الناس إلى الإسلام، لقي رهطًا من يثرب من قبيلة الخزرج أراد الله لهم الهداية وسخر لهم الخير، فقال لهم: (من أنتم؟) قالوا: نفر من الخزرج. فقال رسول الله ﷺ: (من موالي يهود) ؟ -أي حلفائهم- قالوا: نعم. فقال رسول الله ﷺ: (ألا تجلسون أكلمكم)؟ قالوا: من أنت؟ فانتسب لهم رسول الله ﷺ، وأخبرهم خبره، قالوا: بلى. فجلس إليهم، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن(3).

---

(1) صفي عبد الرحمن المباركفوري ، مرجع سابق، ص105.

(2) محمد سيد محمد ، المسئولية الإعلامية في الإسلام ، الطبعة الأولى ( القاهرة : مكتبة الخانجي ، 1983م ) ص72.

(3) محمد الصادق عرجون ، مرجع سابق، ص380 .



obeikandl.com

وكان لهذا الاتصال نتائج مثمرة وطيبة، وكان نقطة تحول لنشر الإسلام في المدينة، وبداية قيام دولة الإسلام الأولى في مقر هؤلاء الذين قابلوا رسول الله ﷺ عند جمرة العقبة الأولى، وعندما انصرف هؤلاء النفر إلى المدينة، وأخبروا قومهم خبر رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام وإلى الله ورسوله، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا فيها ذكر رسول الله ﷺ، وظهر الإسلام وانتشر، وتحدث به الناس حديثًا معلنًا جهيرًا بعد الهمس والإسرار(1).

وبعث معهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير، وأمره أن يعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، ولم يبق من بيوت الأنصار بيتًا إلا دخله مصعب بن عمير معلمًا للإسلام، وقام بالمهمة خير قيام وقد كان له اتصال شخصي وآخر جمعي.

**ثالثًا : الاتصال بالقبائل:**

خرج رسول الله ﷺ في سبيل الدعوة يعرض نفسه والدين الذي معه على القبائل، وكان أول من بدأ بهم ثقيف في الطائف، حيث خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف، ويعرض عليهم أن يدخلوا في الإسلام، وكان له ﷺ صلة بأهل الطائف، وقد رضع في بني سعد وهم بالقرب من الطائف وفيهم مراضعه وحواضنه.

وكانت الطائف مقرَ اللات؛ الصنم الذي كان يعبد ويحج إليه، والطائف تضارع مكة في هذا، بينما كانت مكة مقرَ هبل صنم قريش الأكبر(2).

إلا أن أهل الطائف لم يؤمنوا برسالته ﷺ، بل آذوه وطردوه حتى **قال الدعاء المشهور**: (اللهم إليك أشكو ضعفي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بي غضبك، أو يحل عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله)(3).

وقد عرض رسول الله ﷺ الإسلام على كثير من القبائل، **نذكر منها**: بنو عامر بن صعصعة، ومحارب بن خصفة، وفزارة، وغسان، ومرة، وحذيفة، وسليم، وعبس، وبنو نصر

---

(1) المرجع نفسه، ص382-383 .

(2) أبو الحسن علي الحسني الندوي ، السيرة النبوية ، الطبعة الثالثة ( جدة : دار الشروق ، 1981م ) ص124.

(3) أبو محمد عبد الملك بن هشام ، السيرة النبوية ( القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، د . ت ) ص48.

وبنو البكاء، وكنده، وكلب، والحارث بن كعب، والحضارمة، فلم يستجبْ منهم أحد[1].

**رابعًا: الهجرة وإرسال الوفود إلى خارج مكة:**

لقد توالت فدائح البلاء على أصحاب رسول الله ﷺ، ورسالته، وأحب الناس إليهم، وشعَر ﷺ بما ينال أصحابه من الأذى وقواصم البلاء، ونظر إلى ما هو فيه من العافية لمكانته من الله، وأنه ﷺ لا يستطيع أن يمنع أصحابه مما هم فيه من البلاء وهم صابرون ومحتسبون، وليس لهم إذن برد الاعتداء؛ لأنهم دعاة هداية وأصحاب رسالة، أرادوا تبليغها إلى كافة الناس في أرض الله، ولن يستطيعوا تبليغ رسالة ربهم إذا زجوا بأنفسهم في مضايق الثارات والتدافع، والتقاتل فأمروا أن يصبروا وليعفوا وليصفحوا وليغُضُّوا الطرف عن سفاهة السفهاء، وقسوة الآباء والأمهات حتى يقضي الله بالفرج[2].

وكان الفرج هو الهجرة إلى الحبشة حيث أرسل رسول الله أول وفد إلى خارج مكة.

وكان جعفر بن أبي طالب بمثابة القائم بالاتصال والمبلغ عن رسول الله ﷺ عندما سأله النجاشي قائلًا: (ما الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من الملل؟ قال رضي الله عنه: أيها الملك كنّا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منا القوي الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منا نعرف حسبه وصدقه وأمانته، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام – فعدد أمور الإسلام – فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاءنا به من دين الله وحده، فلم نشرك به شيئًا وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، من عبادة الله تعالى، وحالوا بيننا وبين ديننا، فخرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك)[3].

---

(1) صفي الرحمن المباركفوري، مرجع سابق، ص147.

(2) محمد الصادق عرجون، مرجع سابق، ص10-11.

(3) صفي الدين المباركفوري، مرجع سابق، ص109.

لقد كانت رسالة جعفر بن أبي طالب رسالة إعلامية قوية ومؤثرة ومستوفية لشروط الرسالة التي وضعها علماء الاتصال في العصر الحديث.

ويمكننا أن نوجز أهم العناصر التي تجعل الرسالة مؤثرة -وهي متضمنة في رسالة جعفر ابن أبي طالب للنجاشي-: والعناصر هي أن تهم الرسالة أكبر عدد من الناس، ورسالة جعفر كانت موجهة لكل جماهير الحبشة آنذاك؛ لأنها كانت في حضرة القساوسة وهم علماء الأمة الحبشية، وألا تكون الرسالة متناقضة مع تقاليد المجتمع، وكذلك جعفر أطلق رسالته في مجتمع متدين تقاليده تشابه تقاليد رسول الله ﷺ(1).

مما دعا النجاشي أن يقول بعد أن سمع تلاوة القرآن من جعفر: إنّ هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة(2).

ما من وسيلة مشروعة في ذلك الزمان إلا استغلها رسول الله ﷺ لتبليغ الدعوة ونشرها، وقد كان بلاغه بلاغًا مبينًا بحق، وحري بالذين يدعون إلى الله أن يتبعوا خطى رسول الله ﷺ في هذا المجال، وأن يقدموا الإسلام في أجمل أسلوب وأحسن وسيلة وأوضح بيان.

* * *

(1) محيي الدين عبد الحليم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1980م ) ص37.
(2) أبو بكر الجزائري، هذا الحبيب، الطبعة الرابعة (جدة: مكتبة السوادي للتوزيع، 1995م ) ص124.



obeikandl.com

## المبحث الثاني
## وسائل الاتصال في المدينة ( عهد الرسول ﷺ )

يتناول هذا المبحث الاتصال بأنواعه ووسائله المختلفة التي استخدمت في المدينة بعد أن أصبح للإسلام دولة ذات سيادة، وتوسعت مهام هذه الدولة، الأمر الذي أدى إلى زيادة الاهتمام بالاتصال ووسائله، **وقد تمثل ذلك في عدد من المواقف والخطوات منها:**

**أولاً: مؤاخاة الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار:**

وهو نمط من أنماط الاتصال الشخصي: إذ تآخوا في الله أخوين أخوين، أخذ رسول الله ﷺ بيد علي رضي الله عنه، وقال: هذا أخي. وكان عمه حمزة وزيد بن حارثة مولى رسول الله أخوين في الله (1).

وقد ذكرت كتب السيرة أسماء صحابة كثر تآخوا في الله، وصار بينهم اتصال شخصي قوي ومؤثر، كان من نتائج هذا الإخاء قيام المجتمع المسلم، ومن ثم، الدولة الإسلامية الأولى في المدينة.

**ثانيًا: إرسال الرسل خارج المدينة:**

أرسل رسول الله ﷺ بعض أصحابه لنشر الدعوة، وكانوا من خيرة أصحابه، ونورد نماذج من ذلك.

(1) عبد العزيز شرف، السيرة النبوية والإعلام الإسلامي ( القاهرة: مكتبة مصر ) ص173.



obeikandi.com

**أ- بعث الرجيع:**

أقبل جماعة من قبيلة عضل والقارة، وأظهروا أمام رسول الله أنهم قد أسلموا ورجوه أن يرسل معهم عددًا من الصحابة يعلمونهم القرآن ويفقهونهم في الدين، فاستجاب لهم النبي ﷺ وأرسل معهم عددًا من الرجال ، وسميت هذه البعثة النبوية (بعث الرجيع)[1].

وغدرت هذه القبائل برسل رسول الله، وكان فيهم خبيب بن عدي رضي الله عنه، وقد قال في استشهاده بعض الأبيات، **من أشهرها قوله:**

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا  على أي جنب كان في الله مصرعي

**ب- بعث معاذ إلى اليمن:**

بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن، فقال له: (كيف تقضي إذا عرض لك قضاء). قال: أقضي بكتاب الله، فقال: إن لم يكن في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ. قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله؟ قال: اجتهد رأيي ولا آلو. فضرب رسول الله على صدره، وقال: (الحمد لله الذي وفق رسول رسولِ الله لِما يرضي رسول الله). أخرجه أحمد وأبوداود والترمذي والدارمي والبيهقي في المدخل وابن سعد في الطبقات، وابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله)[2]، وفي رواية البخاري: أن رسول الله بعث إلى اليمن معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري، روى البخاري عن أبي بردة قال: بعث رسول الله أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، وبعث كل واحد منهما على مخلاف، قال: واليمن مخلافان. ثم قال: (يسرا ولا تعسِّرا وبشِّرا ولا تنفرا). فانطلق كل واحد منهما إلى عمله... (البخاري: 4086)[3].

**ثالثًا: الاتصال الشخصي:**

وقد استمر رسول الله ﷺ في الاتصال الشخصي؛ إذ إن الاتصال الشخصي وسيلة قوية من وسائل الاتصال، ومن أشهر اللقاءات في المدينة لقاء عبد الله بن سلام مع رسول الله ﷺ.

روى ابن ماجه عن عبد الله بن سلام قال: لمّا قدم رسول الله المدينة انجفل إليه الناس، وقيل: قدم رسول الله. فجلست في الناس لأنظر إليه، فلما استبنت وجه رسول الله عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيءٍ تكلم به أن قال: أيها الناس أفشوا السلام،

---

(1) أحمد الشرباصي ، موسوعة الفداء في الإسلام ، الطبعة الأولى ( بيروت : دار الجيل ، 1402هـ ) ص585.

(2) نقلًا عن، أكرم ضياء العمري، المجتمع المدني في عهد النبوة، الطبعة الأولى، 1994م، ص249.

(3) سعيد حوى، الأساس في السنة وفقهها، الطبعة الأولى (القاهرة: دار السلام للطباعة، 1989م ) ج1، ص1002.

وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام )[1].

**رابعًا: الوفود التي جاءت إلى المدينة:**

سمي العام التاسع من الهجرة بعام الوفود؛ لأن كثيرًا من القبائل العربية وفدت إلى المدينة، - أو أرسلت رسولًا ينوب عنها- لرسول الله ﷺ. ولقد كان لهذه الوفود أثرٌ كبيرٌ في نشر الدعوة إلى الله خاصة بعد أن يسلم الوفد ويعلمه رسول الله ﷺ القرآن، أو يرسل معهم من يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين، ويستعرض الكاتب نماذج من هذه الوفود كما جاءت في كتب السيرة وكتب التراجم فيما يلي:

**أ- قدوم الأشعريين وأهل اليمن:**

روى أحمد والطبراني عن فيروز قال: إنهم أسلموا فبعثوا وفدهم إلى رسول الله ببيعتهم وإسلامهم. فقبل ذلك منهم فقالوا: يا رسول الله، نحن مَن قد عرفت، وجئنا مَن قد علمت، وأسلمنا، فمن ولينا؟ قال: (الله ورسوله)؟ قالوا: حسبنا، رضينا[2].

**ب- وفود نجران:**

ومن الوفود وفد نصارى نجران، وكانوا ستين راكبًا، دخلوا المسجد وعليهم ثياب الحبرة وأردية الحرير مختمين بالذهب، ومعهم بسط فيها تماثيل ومسوح[3]، جاءوا بها هدية للنبي ﷺ، فلم يقبل البسط وقبل المسوح. ولما جاء وقت صلاتهم صلوا مستقبلين بيت المقدس، ولما أتموا الصلاة دعاهم ÷ للإسلام، فأبوا، وقالوا: كنا مسلمين قبلكم. فقال ﷺ: يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم لحم الخنزير، وزعمكم أن لله ولد، قالوا: فمَن مثل عيسى خلق من غير أب؟ فأنزل الله تعالى في ذلك في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾.

[آل عمران:59]

فدعاهم رسول الله لذلك فامتنعوا، ورضوا بإعطاء الجزية، ثم قالوا: أرسل معنا أمينًا

---

(1) المرجع نفسه، ص417.

(2) نقلًا عن: سعيد حوى ، الأساس في السنة، مرجع سابق، ج2، ص 1008-1009.

(3) **المسوح** جمع مسح وهو: الكساء من الشعر. **وقيل**: هو ثوب الراهب. حسن عطية ، المعجم الوسيط ، الطبعة الثانية ( القاهرة : مجمع اللغة ، 1972م ) مجلد 2 ، ص868 .

فأرسل لهم أبا عبيدة عامر بن الجراح، وكان لذلك يسمى أمين هذه الأمة(1).

**ج- وفود كنده:**

أرسلت كنده وفدها إلى رسول الله ﷺ، وفيهم الأشعث بن قيس، وكان وجيهًا مطاعًا في قومه. ولما دخلوا على رسول الله خبأوا له شيئًا، وقالوا: أخبرنا عما خبأناه لك؟ فقال: (سبحان الله إنما يفعل ذلك بالكاهن، والتكهن في النار ثم قال: إن الله بعثني بالحق، وأنزل عليّ كتابًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه). فقالوا: أسمعنا منه فتلا عليهم: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥﴾ [الصافات].

ثم سكت وسكن، ودموعه تجري على لحيته، فقالوا: إنا نراك تبكي، أفمن مخافة من أرسلك تبكي؟ قال: إن خشيتي منه أبكتني، بعثني على صراط مستقيم في مثل حد السيف، إن زغت عنه هلكت، ثم تلا: ﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ۝٨٦ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ۝٨٧﴾ [الإسراء].

ثم قال لهم ﷺ: ألم تسلموا؟ قالوا: بلى. قال: ما بال هذا الحرير في أعناقكم؟ فعند ذلك شقوه وألقوه(2).

وكان عدد القبائل التي وفدت على رسول الله ﷺ كبيرًا، في هذا العام الذي سمي بعام الوفود، وقد كان لاتصال الرسول ﷺ بهم أثر عظيم؛ حيث آمن منهم من آمن، وتعلموا من رسول الله ﷺ عقائد الإسلام وشرائعه، وانتشر الإسلام في جزيرة العرب.

نكتفي بهذه النماذج من خبر الوفود كواحدة من وسائل الاتصال على عهد رسول الله ﷺ. ونذكر منها دون تفصيل: وفود عبد القيس ووفود بني حنيفة، ووفود طي، ووفود رسول ملوك حمير، ووفود همدان، ووفود بني هزيم وغيرها من الوفود(3).

واتصال الرسول ﷺ بهذه الوفود يعد اتصالًا جمعيًّا، وبعد الهجرة كان أكبر اتصالٍ جمعيٍّ قام به رسول الله ﷺ هو مخاطبة جموع المسلمين في حجة الوداع التي كانت يوم الحج الأكبر بعرفة. حيث أرسل رسول الله ﷺ رسالة جامعة لها مضامين أساسية من دين الإسلام؛ فقد

(1) الشيخ محمد الخضري بك ، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، ص246-247.
(2) الشيخ محمد الخضري بك ، مرجع سابق، ص250.
(3) المرجع نفسه، ص246.

خطب رسول الله ﷺ في جموع المسلمين من الصحابة قائلًا: (أيها الناس أسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدًا، أيها الناس، إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيحاسبكم على أعمالكم، وقد بلَّغتُ، فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن كل ربا موضوع.... إلى أن قال: اللهم هل بلغت)[1].

**خامسًا: مكاتبة الملوك والأمراء:**

الكتابة وسيلة اتصال قديمة، كان لها أثر كبير في كل العصور، فما من حضارة إلا وكان لها لغة مكتوبة استطاعت عن طريقها التفاهم والانتشار، ووسيلة الاتصال هذه اهتم بها رسول الله ﷺ اهتمامًا كبيرًا، حتى أنه جعل إطلاق سراح بعض أسرى بدر مقيدًا بأن يعلموا أبناء المسلمين القراءة والكتابة، ثم أطلق سراحهم بعد تعليم هؤلاء الأبناء[2].

ويدل على اهتمام النبي ﷺ بالكتابة: أنَّ رسول الله ﷺ اتخذ كُتَّابًا للوحي من أجلَّاء الصحابة، كعلي ومعاوية وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، تنزل الآية فيأمرهم بكتابتها، ويرشدهم إلى موضعها من سورتها، حتى تظاهر الكتابة في السطور الجمع في الصدور[3].

لقد ساهمت الكتابة كوسيلة اتصال في نشر الإسلام ومخاطبة الملوك والأمراء، من خلال المراسلات التي تدعوهم للإسلام، وتشرح تعاليمه.

- **ومن أمثلة هذه المكاتبات:**

في أواخر السنة السادسة حين رجع رسول الله ﷺ من الحديبية كتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، واختار من أصحابه رسلًا لهم معرفة وخبرة، وأرسلهم إلى الملوك.

**أ- الكتابة إلى النجاشي ملك الحبشة:**

كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي الكتاب التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فإني أحمد إليك الله، الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى

---

(1) عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، الطبعة السابعة (الكويت: دار البحوث العلمية، 1980م) ص369-370.

(2) محمود شيت خطاب، الرسول القائد، الطبعة الثالثة (الكويت: دار القلم، 1964م) ص113.

(3) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، الطبعة الخامسة عشر (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985م) ص123.

ابن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت منه بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده. وإني أدعوك إلى الله، وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله. وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت، فاقبل نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى)[1].

وقد أثَّر هذا الخطاب في النجاشي، وكان سببًا في أن يستجيب لدعوة الإسلام، مما يدل على فاعلية الكتابة في ذلك الزمان، وأنها كانت وسيلة ناجحة لنشر الدعوة والاتصال والبلاغ.

ب- وكتب إلى كل الملوك آنذاك؛ إذ كتب إلى المقوقس ملك مصر، وكتب إلى كسرى ملك فارس، وإلى قيصر الروم، وإلى المنذر بن ساوي حاكم البحرين، وإلى هوذة بن علي صاحب اليمامة، وإلى الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق، وإلى ملك عمان، بهذه الكتب بلغ النبي ﷺ دعوته إلى أكثر ملوك الأرض، فمنهم من آمن ومنهم من كفر[2].

* * *

وفي إيجاز شديد؛ فقد استعرض هذا المبحث وسائل اتصال رسول الله ﷺ في سبيل تبليغ دعوة الإسلام، واتضح أن رسول الله ﷺ استثمر كل الوسائل المعروفة في زمانه لنشر الدعوة، مما كان له أعظم الأثر في أن يصل صوت الإسلام إلى الملوك والزعماء والقبائل والدول.

* * *

(1) صفي الرحمن المباركفوري ، مرجع سابق، ص393.

(2) صفي الرحمن المباركفوري ، مرجع سابق ص405



obeikandl.com

## المبحث الثالث
## وسائل الاتصال في الدولة الأموية
## ( من 41هـ – إلى 132هـ )

بعد استشهاد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– سنة 40هـ، كانت الأمة في حاجة إلى صلح؛ لجمع الشمل وحقن الدماء، وقد تم الصلح بين معاوية والحسن بن علي سنة 41هـ، وتنازل الحسن بن علي بموجب هذا الصلح عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، وبايعه في الكوفة عام 41هـ، واستبشر المسلمون بهذا الصلح الذي وضع حدًّا لسفك الدماء ودرء الفتن، وسموا هذا العام عام الجماعة.

كانت هذه بداية الدولة الأموية التي امتدت من 41هـ–132هـ، وعاشت زهاء الواحد والتسعين عامًا، وانتهت بنهاية إمارة آخر خلفاء بني أمية؛ مروان بن محمد بن مروان(1).

**ويؤكد هذا الأمر الشيخ محمد الخضري بك، حيث يقول:** إن الدولة الأموية التي بدأت بخلافة معاوية بن أبي سفيان، عندما بايعه أهل العراق والشام عام 41هـ (الذي سمي فيما بعد بعام الجماعة، لاتفاق كلمة المسلمين بعد الفرقة)، وعليه تكون بداية هذه الخلافة في ربيع الأول سنة 41هـ(2).

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان بدأت مسيرة الدولة الأموية تتوسع حتى وصلت إلى السند شرقًا وإلى شمال إفريقيا غربًا، وواصلت زحفها حتى تم لها فتح إسبانيا والبرتغال، ووصل المسلمون إلى جبال البرانس في جنوب فرنسا(3).

لقد احتاجت الدولة الأموية إلى وسائل اتصال عديدة لربط العالم الإسلامي المترامي الأطراف. ويتساءل الإنسان هنا عن وسائل الاتصال التي ربطت هذه الدولة، وجعلت الأطراف المتباعدة مربوطة بالقلب – حاضرة الدولة – وجعلت هذه الدولة تعمر من سنة 41هـ حتى سنة 132هـ، ويتعاقب على خلافتها أربعة عشر خليفة، بين قوي مؤثر وضعيف أثره محدود.

---

(1) عبد الشافي محمد بن عبد اللطيف ، العام الإسلامي في العصر الأموي ، الطبعة الأولى (1984م ) ص110.

(2) الشيخ محمد الخضري بك ، تاريخ الأمم الإسلامية ، الدولة الأموية ( القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى 1969م ) ص15.

(3) عمر فروخ ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ( بيروت : دار العلم للملايين ، 1972م ) ص128.

**ومن أمثلة وسائل الاتصال في الدولة الأموية:**

استخدم بنو أمية وسائل الاتصال الآتية:

1- الخطابة. 2- الكتابة. 3- ديوان البريد. 4- إرسال العمال إلى الأمصار.

**أولًا: الخطابة:**

يورد الباحث خطبة معاوية -رضي الله عنه- في أهل الشام كنموذج للخطابة التي تمثل نوعًا من الاتصال الجمعي في دولة الخلافة الأموية.

خطب معاوية ذات مرة في أهل الشام، واعتذر عن عدم سلوكه طريقة الخلفاء الراشدين قبله، فقال: (وأين مثل هؤلاء؟ ومن يقدر على أعمالهم؟ هيهات أن يدرك فضلهم أحد من بعدهم -رحمة الله ورضوانه عليهم- غير أنني سلكت بها طريقًا لي فيه منفعة، ولكم فيه مثل ذلك، ولكم فيه مؤاكلة حسنة ومشارب جميلة، ما استقامت السيرة، وحسنت الطاعة، فإن لم تجدوني خيركم فأنا خير لكم، والله لا أحمل السيف على من لا سيف له، ومهما تقدم مما قد علمتموه قد جعلته دبر أذني، وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله فأرضوا مني ببعضه... وإياكم والفتنة فلا تهموا بها، فإنها تفسد المعيشة، وتكدر النعمة، وتورث الاستئصال، وأستغفر الله لي ولكم)[1].

**ومن الأمثلة كذلك:** خطبة معاوية رضي الله عنه في آخر عهده؛ إذ خطب قبل موته قائلًا: (إني كزرع مستحصد، وقد طالت إمارتي حتى مللتكم ومللتموني، وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقي، ولن يأتيكم من بعدي إلا من أنا خير منه، كما أن من كان قبلي خير مني، وقد قيل: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، اللهم إني قد أحببت لقاءك فأحبب لقائي وبارك لي)[2].

ضربت مثلًا بخطبتين لمعاوية باعتباره مؤسس هذه الدولة، وقد سلك من جاء بعده مسلكه خاصة في مخاطبة الرعية عند تولي الخلافة، وفي المناسبات العديدة، فقد كانت الخطابة إحدى وسائل الاتصال الشائعة، والمهمة في دولة بني أمية، ولهم خطب عديدة لا يتسع المجال لذكرها، وحسبي أن أشرت إلى نموذج من هذه الخطب ذات الأثر في ربط الراعي بالرعية.

---

(1) عبد الشافي محمد عبد اللطيف ، مرجع سابق، ص114.

(2) عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون، الطبعة الأولى ( بيروت : دار الفكر ، 1981م ) ج3، ص 77.

**ثانيًا: الكتابة:**

لقد كانت الكتابة والمراسلات من أهم وسائل الاتصال في الدولة الأموية، وفيما يلي يستعرض الباحث بعض الأمثلة التي توضح أهمية الكتابة، وكيف ساهمت في ربط الدولة فيما بينها والدولة بالمجتمع، والمجتمع ببعضه البعض، لقد كان أكثر الخلفاء استثمارا للكتابة عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- ولقد نسب المؤرخون أعمالًا تميز الخلفاء الأمويين عن بعضهم البعض، **فمثلًا**: عبد الملك بن مروان قد وحد الدولة، وفي عهد الوليد وسليمان توسعت الفتوحات العسكرية، وانتظمت السياسة والإدارة، وينسب إلى عمر بن عبد العزيز أنه قد اتجه إلى الشيء الأهم والأعظم والأبقى؛ حيث بذل كل جهده في نشر الدعوة الإسلامية في أقطار الأرض، فكتب إلى ملوك الهند يدعوهم إلى الإسلام والطاعة على أن تبقى أملاكهم وإمارتهم بأيديهم، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وقد بلغت رسائل عمر ومذهبه في الحكم والحياة إلى هؤلاء، فأسلموا، وتسموا بأسماء عربية، كما دفع عمر برسائله ووفوده إلى ملوك ما وراء الهند يدعوهم إلى الإسلام، فاستجاب له كثير من الأهالي في تلك المناطق، فأمر ببناء الحانات وهي أشبه ما تكون بالاستراحات الآن، لكي يأوي إليها الغرباء، وتكون محطات للمسافرين والمنقطعين.

كما كتب إلى (ليو) الثالث إمبراطور الروم يدعوه إلى الدخول في الإسلام(1).

لقد شاعت الكتابة وأصبح العلماء يكتبون إلى الخلفاء؛ فقد كتب الحسن البصري رسالة إلى عمر بن عبد العزيز، جاء فيها: (اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف، ونُصْفَة كل مظلوم، ومفرح كل ملهوف، والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق بها، الذي يرتاد لها أطيب المراعي، ويذودها عن مواضع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكفها عن أذى الحر والقر، والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على أولاده؛ يسعى لهم صغارًا ويعلمهم كبارًا، يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته، والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البارة بولدها حملته كرهًا ووضعته كرهًا وربته طفلًا، تسهر بسهره وتسكن بسكونه، ترضعه تارة وتفطمه تارة أخرى، وتفرح بعافيته، وتغتم بشكايته(2).

واتسعت رقعة الدولة الإسلامية، ودخل فيها أجناس عديدون من فرس وسوريين

(1) عبد الحليم عويس ، بنو أمية ، الطبعة الأولى ( القاهرة : دار الصحوة ، 1987م ) ص29-30.

(2) مصطفى الشكعة، معالم الحضارة الإسلامية، الطبعة الثانية (بيروت: دار العلم للملايين، 1975م ) ص224.

وغيرهم، وكبرت مسئولية الخليفة الذي لا يجد بدًّا من أن يستعين بالكُتَّاب، ويلمع من كُتَّاب الأمويين عبد الحميد بن يحيى الكاتب، وكان وزيرًا لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية الذي قتل عام 132هـ[1].

لقد بلغت الكتابة كوسيلة اتصال في دولة بني أمية شأوًا عظيمًا، على الرغم من غلاء الورق وندرته.

**ثالثًا: إرسال العمال في الأمصار:**

يعد هذا من أهم وسائل الاتصال في الدولة الأموية، ولقد كان له أثر عظيم في تماسك الدولة. فقد حاول الخلفاء منذ قيام الدولة إرسال الرجال الأذكياء إلى الأمصار البعيدة لإدارتها، وتصريف الأمور فيها، حتى يكون هذا العامل حلقة وصل بين الخليفة والرعية، وقد استمرت هذه الوسيلة تؤدي دورها منذ عهد معاوية بن أبي سفيان، حيث إنه عندما اشتغل بالخلافة عام الجماعة بعث بالعمال إلى الأمصار[2].

**رابعًا: ديوان البريد:**

ساهم البريد في إدارة الدولة الأموية، وكان واحدًا من وسائل الاتصال الحديثة في تلك الدولة، وكان وسيلة فاعلة، **والبريد في المصطلح هو**: أن تجعل خيلًا مضمرات في عدة أماكن، فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى المكان الآخر -وقد تعب فرسه- ركب فرسًا آخر مستريحًا، فإذا وصل إلى المكان الآخر ركب فرسًا آخر، وهكذا إلى أن يصل إلى المكان المطلوب. **وله معنى في اللغة، إذ ذكر بأنه**: مسافة معلومة قدرت باثني عشر ميلًا. وقدره الفقهاء وعلماء المسالك بأربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال. وقد كان يطلق على الرسول البريد، واللفظ عربي، وقيل: إنه فارسي، وقد كانوا يضعون البريد في أماكن معينة لحفظ الأموال، وسرعة وصول الأخبار، وأُدخل نظام البريد في الإسلام في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، ثم أدخل عليه عبد الملك بن مروان عدة تحسينات، وبذلك أصبح أداة مهمة في إدارة شئون الدولة، وبلغ من اهتمامه بالبريد أن أوصى، أن لا يمنع عامل البريد من الدخول إليه ليلًا أو نهارًا؛ لأن عدم دخوله ساعة قد يفسد أعمال الولاية سنة كاملة[3].

---

(1) عبد الرحمن بن خلدون ، مرجع سابق، ص5.

(2) المرجع نفسه، ص5.

(3) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام ج1، الطبعة السابعة ( القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1964م ) ص459.

لقد استطاعت إدارة الدولة الأموية أن تستفيد من وسائل الاتصال المتاحة آنـذاك في ربـط القمة بالقاعدة، وفي إدارة شئون الدولة الممتدة الأطراف، والتي عاشـت ردحًـا مـن الـزمن، وسخر خلفاء الدولة وسائل الاتصال من اتصال شخصي وجمعي، وأساليب خطابة والكتابـة والمراسلات، وبعث العمال والأمراء إلى الأمصار المختلفة، وأدخلوا نظـام البريـد والاتـصال السريع، واختصار المسافات، وقدروا أهمية ساعي البريد الذي سمح له أن يـدخل إلى بعـض الخلفاء، ولا يمنع من ذلك ليلًا كان ولا نهارًا.

* * *

obeikandl.com

## المبحث الرابع
## وسائل الاتصال في الدولة العباسية
## من سنة 132هـ–656هـ :

حكمت دولة بني العباس حوالي خمسة قرون، من سنة 132هـ -السنة التي تولى فيها أبو العباس السفاح الخلافة- إلى زوال هذه الدولة على أيدي التتار سنة 656هـ–1258م، يقول صاحب الفخري في الآداب السلطانية: (إن هذه الدولة من كبريات الدول التي ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك، فكان أخيار الناس وصلحاؤها يطيعونها تدينًا، والباقون يطيعونها رهبة أو رغبة، ثم مكثت فيها الخلافة والملك حدود ستمائة سنة)(1).

استخدمت الدولة العديد من وسائل الاتصال، وكان أبرز هذه الوسائل: انتشار الدعاة، الكتابة، المسجد، نشر العلم، الكتاب، التجارة والتجار، والبريد.

**ويتناول هذا المبحث كل وسيلة من هذه الوسائل بشيء من التفصيل فيما يلي:**

**أولًا: انتشار الدعاة:**

لقد ضيق الأمويون على البيت العلوي والعباسي؛ لأن هذين البيتين نافسا الدولة الأموية، ويرى كل بيت أن له حقًّا مغتصبًا من قبل الدولة الأموية، خاصة البيت العلوي، وكان العباسيون يشدون من أزر العلويين إلى أن تنازل زعيم العلويين للبيت العباسي، ومن ثم استخدم العباسيون كل وسائل الاتصال لبث فكرتهم، ومن ذلك الدعاة والنقباء والمبشرون، وذلك من أجل الدعوة للعباسيين، والترويج لهم وبحقهم في الخلافة، وظل الدعاة يدعون سرًّا لمدة طويلة، وفي تنظيم دقيق.

وقد بدأ أسلوب الدعوة بعد قدوم أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وذلك عندما قدم على سليمان بن عبد الملك عام 98هـ فأعجب به، وقضى حوائجه وصرفه وضم إليه من سمه، فلما شارف الشراة أحس بذلك، وقال لأصحابه: ميلوا بي إلى ابن عمي محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وهو يقيم بكذا من الشراة من كور البلقاء من أرض دمشق، فلما صار إليه أخبره بأن الخلافة صائرة إلى ولده، وأفشى إليه أسراره، وعرفه بالدعاة، وقال له: إذا مضت المائة الأولى فوجه دعاتك(2).

---

(1) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ج1 ، مرجع سابق، ص21.

(2) علي عبد الرحمن العمرو، أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول ( القاهرة : مطابع الدجوي ، 1979م ) ص95- 96.

يتبين من هذا النص أنّ الدعوة والدعاة قد انتقلا من البيت العلوي الذي يمثله عبد الله بن محمد بن الحنفية، إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، الذي يمثل البيت العباسي، وأن الدعاة الذين كانوا يدعون إلى البيت العلوي أصبحوا دعائم الاتصال للدولة العباسية.

تم تنظيم الدعاة تنظيمًا دقيقًا وكانت الدعوة للدولة العباسية تقوم على أساس ديني، ومن الأمور التي ساعدت رجال الدعوة قيامها على أساس ديني، وأنها إلى جانب ذلك نظمت تنظيمًا دقيقًا، واستغلت العصبية. وكانت بداية الدعوة مطلع القرن الثاني الهجري.

خرج رسل الدعوة العباسية سنة 100هـ، من الحميمة مركز قائد الدعوة محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وهم: ميسرة العبدي ومحمد بن خنيس، وأبو عكرمة السراج، وحيان العطار، بعث أحدهم إلى العراق وثلاثة منهم إلى خراسان، وقد أخفى محمد بن علي نفسه بأن تكون الدعوة إلى واحد من آل البيت، واختار مراكز إستراتيجية الدعوة، من هذه المراكز الحميمة، وهو أول مركز للدعوة يقع في موقع صغير في طريق القوافل التجارية بعيدًا عن المسرح السياسي، وقد اتخذت الكوفة مقرًّا للدعاة في العراق؛ لأنها ذات ولاء لآل البيت، وكانت نقطة اتصال، حيث تصدر التعليمات من الحميمة مع الدعاة الوافدين من خرسان لعرض نتائج مساعيهم، وجهودهم في سبيل الدعوة في مناطق خرسان وليتلقوا الأوامر. واختار خرسان مقرًّا لنشاط الدعوة، واختيارهم لهذه المنطقة يدل على عبقرية ورجاحة عقله، ذلك لأن الاتصال يصبح سالكًا بينه وبين دعاته(1).

من الأقاليم التي كان للدعاة فيها أثر بليغ خرسان، حيث اتسعت الدعوة وتعمقت جذورها في سهول خرسان وجبالها، ونشطت حركة الدعاة، وأصبح لابد للدعوة من رئيس على درجة كبيرة من الكفاءة والقدرة يشرف على شئونها وينظم مسيرتها، وقد أوضح دعاة خرسان لإبراهيم الإمام الذي تسلم الدعوة بعد وفاة والده محمد بن علي احتياج الدعوة في خرسان إلى قائد وزعيم يتولى مسئولياتها ويضع الخطط للتحركات التي يقوم بها رجال الدعوة، ويعد العدة إلى إطلاق الشرارة في اليوم المنتظر، فاختار لهذا الأمر رجلًا فارسيًّا في مقتبل العمر ذا حزم وعلم، وهو أبو مسلم الخراساني، أرسله الإمام إبراهيم ليتولى رئاسة الدعاة في خراسان سنة 127هـ، وأمر الشيعة بالسمع والطاعة له(2).

قد كان الدعاة والنقباء يتصلون سرًّا لفترات طويلة، وكان أمرهم في طي السر والكتمان،

(1) علي عبد الرحمن العمرو، مرجع سابق، ص98- 99.
(2) المرجع نفسه، ص109.

واستمر هذا النوع من الاتصال إلى أن أطيح بالدولة الأموية، واتسع المجال أمام الخلافة العباسية[1].

**ثانيًا: الكتابة والمراسلات:**

كان كل خليفة من بني العباس يتولى الخلافة يستكتب أفضلَ كُتَّابه في رسالة تقرأ على أنصار الخلافة، وهي بمثابة منشور في عصرنا الحاضر، هذه الرسالة تحدّد أهداف الخليفة وتوضّح هويته، وقد اختيرت خراسان بشكل خاص لكي توجه لها وإلى أهلها هذه الرسالة. والرسالة تعدد مآثر الخليفة الجديد، وتذكرُ فضائله ويجتمع الناس من كل حدب وصوب للاستماع لهذه الرسالة[2].

من أهم الرسائل كانت رسائل الخُمِيس (الجيش)، وكانت أخطر وأشهر رسائل الخميس جميعًا الرسالة التي كتبها أحمد بن يوسف للمأمون، والسبب في ذلك: أنَّ المأمون تولَّى إمرة الدولة بعد فتنة دموية قتل فيها أخوه محمد الأمين، وهو ولد الرشيد من زبيدة، وهو عربي الأم والأب، وكان الهدف من الرسالة تهدئة الناس، ووضع القضايا أمامهم، ولا يستطيع هذا إلاّ كاتب رسالة الخميس، ولهذا السبب كان خطر رسالة الخميس التي كتبها أحمد بن يوسف، والتي نُعِتَ بسببها أنه واحدٌ من ألمع كتّاب العربية[3].

لقد كانت الكتابة من أهم وسائل الاتصال، وبها يتم توثيق وتقييد الأمور المهمة، فمثلًا عندما حضرت الوفاة أبا العباس السفاح، كتب عهدًا عهد فيه لأخيه أبي جعفر من بعده، ثم إلى عيسى بن موسى، وكتب هذا العهد وختمه بخاتمه، وسلمه إلى عيسى بن موسى بن محمد العباس[4].

**ثالثًا: المسجد كوسيلة اتصال:**

استمر المسجد يؤدي دوره كواحد من وسائل الاتصال في كل العصور، منذ عصر النبوة حتى الخلافة الأموية، وقد استغلّ خلفاء دولة بني العباس وعمالهم هذه المؤسسة في الاتصال وترسيخ قواعد دولتهم وتماسكها، وقد كانت سنَّة واضحة سنَّها مؤسس الدولة الأول؛ فعندما ولّي أول خلفاء بني العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وقف على

(1) حسن أحمد محمود، العالم الإسلامي في العصر الحديث (القاهرة: دار الفكر العربي، بدون تاريخ) ص 15-16.
(2) مصطفى الشكعة، مرجع سابق، ص 235.
(3) المرجع نفسه، ص 236.
(4) حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص 28.

المنبر وخطب الناس (الجماهير)، وبين بعض سياسته في غضبه على بني أمية، ونـوه بفـضل آل محمد، ومدح أهل الكوفة وأهل العراق، وقال: أنا السفاح المبيح، والثائر المبير [1]. يعني أنـه المهلك. واستمرت للمسجد مكانته في الاتصال طيلة عهد الدولة العباسـية، واسـتثمره كـل الولاة والحكام، واشتهرت مساجد كبرى في العالم الإسلامي كانت تقوم بدورٍ رائـدٍ كوسـيلة اتصال، منها: مساجد بغداد حاضرة الخلافة العباسية، والكوفة، ودمشق، والمـسجد النبـوي، والحرم المكي، وغيرها من المساجد في أنحاء الدولة الإسلامية .

**رابعًا: العلم والتعليم:**

العلم والتعليم والتربية من علوم الاتصال، التي يعوَّل عليها في تماسك المجتمع، ووسـيلة ناجحة من وسائل الاتصال الجماهيري [2]. فمما سهل الاتصال بين أفراد المجتمع في الخلافـة العباسية نشرَ العلم الذي خلق جوًّا من الانسجام وتوحدًا في المجتمع آنذاك.

فعندما تولى العباسيون الخلافة أدركوا خطر ترك البناء الثقـافي العـام سـائبًا، كـما أدركـوا مكانة علماء المدينة وقيمة ما عندهم من علوم، فكان لابد من تعليم العامة، حتـى تنـسجم في الدولة الجديدة، وتنسجم مع الخط العام الذي تبناه علماء المدينة. **يروي ابن عبـد الـبر**: أن أبـا العباس السفاح لما ولي الخلافة بعث إلى المدينة فأقدم عليه عامة مَن كـان في المدينـة مِـن أهـل العلم، وأن أبا يوسف صاحب أبي حنيفة المشهور درس على أولئك العلـماء في بغـداد. وتـابع أبو جعفر المنصور هذه السياسة؛ فحض علماء المدينة على القدوم إلى بغداد، ويسر لهـم مكانـة مرموقة، وكان من بين قـضاة بغـداد عـدد مـن أهـل الحجـاز، مـنهم: أبـو يحيـى بـن سـعيد الأنصاري، وأبو عبد الله بن محمد الجمحي، وسعيد بـن عبـد الـرحمن الجمحـي، كـما رحـب بمقدم ابن إسحاق، وهو الذي وضع كتاب المغازي والسير وأخبار المبتدأ، ولم تكن قبل ذلك مجموعةٌ ولا معروفةٌ. وكان أبو جعفر قد نظر في العلم، وقرأ المـذاهب والآراء، ووقـف عـلى النِّحَل وكتب الحديث، فكثرت في أيامه روايات النـاس، وكثـرت علـومهم. وتـابع المهـدي الاهتمام بعلوم الإسلام، والعناية بعلماء المدينة فجلب سنة 160هـ عـددًا مـن أهـل المدينـة، وسكَّنهم بغداد وقرَّبهم إليه، وأغدق عليهم العطاء وأطلق عليهم اسـم (الأنـصار)، وكانـت لهم في بغداد قطيعة وقنطرة ومسجد ومقابر خاصة بهم، كـما كـان لهـم نقيـب خـاص. عمـل

(1) المرجع نفسه، ص 22 .

(2) إبراهيم إمام، الإعلام والاتصال الجماهـيري ، الطبعـة الثالثـة ( القـاهرة : مكتبـة الأنجلـو المـصرية ، 1984م ) ، ص13.

هؤلاء العلماء بتشجيعٍ من الخلفاء العباسيين الأولين على نشر علوم القرآن، والحديث والفقه وسيرة رسول الله ﷺ، وأخبار العرب وأشعارهم، وهي علوم سبق أن وضع العرب أُسُسَها وتعهدوها؛ لأنها معبرة عن ميولهم واتجاهاتهم السابقة.

وقد كان لنشر العلوم أثر كبير في توحيد المجتمع وتماسكه حيث أصبح العلم والتعليم بمثابة وسيلة اتصال تحكمت في أن ينسجم المجتمع.

وسرعان ما اتضحت معالم التعليم والتعلم، وازدادت العناية به وتقديره، وأصبح العلماء في هذه العلوم لهم الحظوة الأولى، كما أصبحت بغداد حاضرة الدولة العباسية المركز الأول والأكبر لهذه العلوم في الدولة الإسلامية، فمن هذه المراكز تتدفق العلوم والمعلومات وينتشر العلماء القائمون بالاتصال حول سائر أمصار ونواحي الدولة العباسية(1).

كما شاع التعليم الذي أسهم في الاتصال إلى جانب نشر العلم، وبذا أسهم التعليم في ربط الأجيال بعضها ببعض، ونقل التراث من جيل إلى جيل، ولذلك كان اهتمام الدولة العباسية به مما ساعد على ازدهاره في هذه الدولة، حيث قامت معاهد ومؤسسات تبنت التعليم، ولأهمية هذه المؤسسات نلقي بالضوء عليها:

**1- مدارس الكتَّاب**: وقد كانت هذه المدارس منتشرة، وكان بها قدر من المعلمين، قال ابن قتيبة: من المعلمين علقمة بن أبي علقمة مولى عائشة، كان يروي عن مالك بن أنس، وكان له مكتب يُعلِّم فيه العربية والنحو والعروض، ومات في خلافة أبي جعفر المنصور، وبعض المعلمين كانوا يعلِّمون حسبةً؛ أي لا يأخذون أجرًا. **روى ابن قتيبة**: أن الضحاك بن مزاحم وعبد بن الحارث كانا يعلمان ولا يأخذان أجرًا وبعضهم كان يأخذ أجرًا من الصبيان(2).

**2- المسجد**: لقد كان المسجد أكبر معاهد الدراسة في تلك العصور، ولم تكن المساجد للعبادة وللشعائر وحدها، ولكن كانت تؤدى فيها أعمال عديدة ومفيدة، منها: أنها كانت للعبادة وللخطابة والاتصال، وما يهمني في ذلك أن المسجد كان مكانًا للاتصال، ولنقل التراث من جيل إلى جيل(3)؛ إذ كان المسجد أكبر معهد لنقل التراث، وربط المجتمع ببعضه البعض، وربط الراعي بالرعية. أذكر من هذه المساجد التي كانت تقوم بدور التعليم والتربية: مسجد عمرو بن العاص، ومسجد البصرة، ومسجد الكوفة، بالإضافة إلى الحرمين المكي

(1) صالح أحمد العلي، العراق في التاريخ (بغداد: دار الحرية للطباعة، 1982م) ص 288-289.
(2) أحمد أمين، ضحى الإسلام ج2، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1979م) ص 50 - 51.
(3) المرجع نفسه، ص50-51.

والنبوي، وغيرها من المساجد التي كانت تقوم مقام المدارس والجامعات في العصر الحديث.

لقد كان المسجد مكانًا للتعليم والتعلم منذ عهد رسول الله ﷺ، وكان وسيلة اتصال بين المسلمين، بل كان أهم وسائل الاتصال في ذلك العهد المبكر، واستمر مكانًا لتعليم القرآن والحديث، وللقصاص يعظون فيه، والفقهاء يعلمون الفقه مدة العهد الأُموي، وعندما تنوعت العلوم في العصر العباسي تنوعت كذلك حلقات الدروس، فنجد حلقات الشعر والأدب وغيرها من العلوم(1).

**3- مجالس المناظرة:** من أهم معاهد العلم التي أدت إلى انسجام المجتمع معاهد العلم، ومجالس المناظرة في الدور والقصور وبين العلماء، وفي حضرة الفقهاء، وذلك بنشر علوم الفقه والنحو، وغيرها من العلوم آنذاك. وقد سجلت كل المناظرات بين الفقهاء والعلماء، وأصحاب المذاهب وحفلت بها كتب التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية.

**4- المكتبة:** إلى جانب المعاهد الأخرى التي أسهمت في التعليم وتعديل الرأي العام، بل وتوجيهه كانت المكتبة. وأول مكتبة عامة أسهمت في الاتصال الثقافي والحضاري هي مكتبة (دار الحكمة) التي أنشأها المنصور في بغداد، وجمع لها الكتب اليونانية من الإمبراطورية، وترجمت إلى العربية. وكانت تحوي كل العلوم التي اشتغل بها العرب، وقد ظلت تؤدي دورها إلى أن جاء التتار سنة 656هـ، وجاسوا خلال الديار الإسلامية ودمروها تدميرًا(2).

5- **الكتاب:** لقد كان الكتاب وسيلة اتصال قوية وناجحة في الدولة العباسية، فمثلًا عندما احتدم الخلاف بين الشعوبين والعرب كلٌ ألف الكتب في مثالب الآخر ومدح بالطبع نفسه. يروي لنا التاريخ أن سعيد بن حميد البختكان قد ألف كتابًا سماه (انتصاف العجم من العرب)، وكتابه (فضل العجم على العرب وافتخارها)، وبعضهم وضع الكتب في تلك الحقبة لتكون أحد الوسائل التي تساهم في الاتصال في ذلك العهد، وكانت تقوم بوظائف المطبوع الذي يسهم في الاتصال، والذي له كثير من المميزات، لقد أصبحت الكتب من وسائل الاتصال، ذات الأثر القوي، وكتبت الكتب ورد العلماء على بعضهم البعض، حيث كتبت كتبا كثيرة في علم الكلام، وشاعت الكتب والردود عليها(3).

**6- الحركة التجارية والتجار:** لقد أسهم التجار بتحركاتهم التجارية في الاتصال وربط

---

(1) المرجع نفسه، ص 50.

(2) المرجع نفسه، ص 66.

(3) عبد الرحمن بدوي ، مذاهب الإسلاميين ج1 الطبعة الثانية ( بيروت ، دار العلم للملايين ، 1979م ) ص 206.

الدولة، وقد شجع الخلفاء التجارة، عندما حفروا الآبار وأقاموا المحطات على الطريق التجاري وعلى طرق القوافل، كما أنشأوا المنابر على الثغور وأدى وصول المسلمين الأوائل إلى سواحل إفريقيا الشرقية وسرنديب (سيلان) والملايو والصين، وإلى كثير من الجهات، أدى هذا إلى تنوع السلع وانتشار الإسلام إلى حيث ما وصل قدم التجار المسلمين(1).

كان التجار من القائمين بالاتصال في الدولة العباسية، فالتجارة صلة بين الشعوب الإسلامية وغيرها، فهي اتصال حضاري مشهود له في ربط الحضارات والثقافات ونقلها، والتجارة في العصر العباسي ازدهرت وبلغت أوجها، والسبب اتساع رقعة الدولة وتنوع الأقاليم، والذي أدى إلى تنوع المناخ في هذه الدولة.

**7- البريد**: صار البريد في العهد العباسي محكمًا جدًّا، والخطابات كانت ترسل بالخيل، وزيد عدد الخيل في المدن الرئيسية، وكانت هذه الخيول تقطع مسافة خمسة أيام في يوم واحد، وعبر البريد إلى بلاد الهند، وربطت مدن بغداد والبصرة والأهواز وشيراز ومنها إلى مدن نرماشم ومكران، ثم إلى كير في بلاد الهند، وهذه محطات في طريق البريد الصادر من بغداد إلى شرق الخلافة العباسية، إن النظام البريدي في الخلافة العباسية كان بالغ التنظيم، وأدى إلى ربط أقاليم البلاد بحاضرة الخلافة في بغداد وربط القلب بالأطراف(2).

* * *

وبهذا نكون قد أوردنا أهم وسائل الاتصال على عهد الخلافة العباسية إجمالًا من غير تفصيل وذلك خشية الإطالة، وحسبه أن فتح الباب أمام الباحثين للدراسة التفصيلية، هذا من ناحية ولأن مهمة هذا الكتاب محددة لا تستقصى كل كبيرة وصغيرة، ويكفينا أن قدمنا سبعة من وسائل الاتصال في الخلافة العباسية، كانت هذه الوسائل مجتمعة ذات أثر عظيم في تماسك الدولة، وكانت تصل الراعي بالرعية والرعية بعضها ببعض.

لقد بدأتُ الحديث عن الدعاة الذين كانوا يتصلون ببعضهم البعض سرًّا في أول الدعوة للخلافة العباسية والكتابة التي استغلها الخلفاء والمساجد والمعاهد والحركة العلمية التي ساعدت في انسجام المجتمع، وغيرها من وسائل الاتصال كالتجارة والكتاب، وأخيرًا البريد الذي كان متطورًا في عهد الخلافة العباسية.

---

(1) شوقي أبو خليل، الحضارة العربية والإسلامية، الطبعة الأولى (طرابلس، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1987م) ص 238.

(2) محمد يوسف النجرامي، العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية، الطبعة الأولى (بيروت: دار الفكر، 1979م) ص 64.